

المدينة المنورة في ديوان

لماذا نكتبه؟



عبد الرزاق ديار بكرلي - سورية

يحوي هذا الديوان أكثر من أربعين قصيدة في شعر المديح النبوي الذي فجره ما قام به بعض المسيئين للرسول ﷺ من نشر رسوم وأفلام وغير ذلك. ظناً منهم أنهم ينالون من مقامه العالي الذي رفعه الله سبحانه وتعالى إذ قال: «ورفعنا لك ذكرك». وقد أثار ذلك حفيظة المسلمين عامة والشعراء خاصة، فهبوا لنصرة نبيهم ﷺ بألسنتهم اقتداءً بشعراء الإسلام في العصر الأول حسان وكعب وابن رواحة، مع اختلاف في الأساليب والمضامين لاختلاف الزمان والمكان.

وجاءت القصائد غنية بالمعاني من حياة الرسول ﷺ، ودعوته في مرحلتها المكية والمدنية، مشيرة إلى كثير من الغزوات والمعجزات والمواقف الإنسانية التي بهرت أعداءه قبل أصحابه وتابعيه إلى يوم الدين، إلى درجة أن كثيراً من كبار المفكرين المعاصرين في العالم صرحوا بإعجابهم به ﷺ.

ويمناسبة اختيار المدينة المنورة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ٢٠١٣م فإن هذا المقال يرصد جزئية

جمعت في ديوان تحت عنوان «لماذا نكتبه؟» شارك فيه شعراء من مختلف الدول العربية، حيث صدر الجزء الأول منه عن دار المنهاج في جدة بالملكة العربية السعودية، واشتمل على خمس وأربعين قصيدة لأربعين شاعراً تدفقت مشاعرهم بحب الرسول ﷺ والدفاع عنه.

وقد نتج عن هذا الحراك الأدبي قصائد ودواوين كثيرة أضافت إلى فن المديح النبوي رصيماً جديداً لا يبلى، وما ذلك إلا لتبيل الغاية، وشرف المضمون، وإخلاص القصد لدى أصحابها.

ومن هذه القصائد الشعرية حصيلة لما دعت إليه قناة المستقلة الفضائية من كتابة قصائد

خاصة من المعاني الكثيرة، وجانباً محدوداً مما تغنى به الشعراء حباً بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم.

لقد ذكر عددٌ من الشعراء المدينة المنورة بأسمائها: يثرب، وطيبة، وطابة.. وغير ذلك كونها مهاجر الرسول ﷺ، وأشار بعضهم إلى أماكن في المدينة مثل: المسجد النبوي، والروضة الشريفة، وقباء، وأحد، وسلع، والبقيع، والعقيق، وغيرها، كما أورد بعضهم الآخر عدداً من المعجزات التي وقعت في المدينة، والتي ذكرت تفاصيلها في كتب الحديث والمغازي وكتب السيرة النبوية.

وفيما يأتي من هذا المقال نتعرف إلى أمثلة ونماذج مما ذكره الشعراء في سياق إجابتهم على السؤال: لماذا نحبها؟ ﷺ.

فالشاعر أحمد الأمين أبو جماع، في قصيدته «مولد الفخار» (ص ٤٤)، يشير إلى حدث الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وإقرار النظام والأمن فيها: إذ يقول:

تركوا الديار بما حوته وماجروا

نحو المدينة فاستقام نظام

أما الشاعر أحمد علي سالم من العراق في قصيدته: لماذا نحبها؟ (ص ٤٥-٤٦)، فيورد أبياتاً مشحونة بقدر هائل من العواطف الجياشة حيال المدينة المنورة، ونلاحظ ذلك في كلماته (سلام، وجَد، تحية، مشتاق، عطرها، رحيق، روحي، يهمي، قلبي؛ إذ يقول:

سلام على أرض الحجاز وما حوت

وما در من شطر العنان سحابها

ووجدي على من بالعقيق وطابة

ومكة هبها بايضوح ترابها

تحية مشتاق إلى البيت والصفاء

تجود عليها بالنسيم شعابها

أحظى بريائها وأنشق عطرها

ويبتل قلبي من رحيق رضاها

تمنيت روحي نسمة برياضها

وقطرة ماء حين يهمي حبابها

بلاد حباها الله أشرف من مشى

على الأرض إذ حيته شوقاً رحابها

بها الوحي يأتي للرسول محمد

بآيات صدق لا يزل صوابها

أما الشاعر عباس الجنابي، من العراق، في قصيدته «رسول الهدى» (ص ٨٢)، فاستلقت البلاغة النبوية؛ حرفاً ولفظاً، وتعبيراً وفصاحةً، وتأثيراً في النفوس، فكانت اللغة العربية في أبهى حللها الجميلة، ونلاحظ ذلك في أحاديث النبي وأقواله ﷺ:

فكيف يجذب حرف أنت ملهمه

وكيف تظماً روح أنت ساقبها؟

تفتحت زهرة الألفاظ فاح بها

مسك من القبة الخضراء يأتيها



أما الشاعر المبدع عبد الرحمن صالح العشماوي من السعودية، في قصيدته «حداة في موكب الهجرة» (ص ٩٢-٩٣)، فيورد أبياتا يصور فيها تلك اللحظة التي فارق فيها نبينا محمد ﷺ مكة المكرمة، فيذكر: الوداع، والوَلَّةَ، والشرك الذي يعربد فيها، وثنيات الوداع، كما يجعلنا نشخص بأبصارنا لنكون مع أهل المدينة في قباء، والعقيق، وتجمُّع الأنصار وفرحتهم باللقاء، ومع الصحابي سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو يرقب هيئة النبي وتواضعه حين قدومه. فوداع في مكة واستقبال في المدينة، وأما ما بينهما من زمن ورحلة ومشاق فيتركه الشاعر لخيال القارئ ليستحضره بنفسه من كتب السيرة النبوية:

ودَّعت مكة والفضود يحبها

وتركت فيها الكفر يلعب ميسرا

وتركت ليلَ الشرك يأكل بعضه

بعضاً وقد برمت به أم القرى

وحملت فجرك نحو طيبة ضاحكاً

متألقاً متهللاً مستبشراً

تسري فيهتف من قباء هاتفاً

شغفاً، ويلقاك العقيق مكبرا

هذي ثنيات الوداع تألقت

لما رأت ليل المدينة مقمرا

وتطير بالأنصار فرحتها وقد

نادى المنادي بالقدوم وبشرا

ويجيء سلمانُ المحب وقد روى

لك وجهه الحب الكبير وصورا

وللناقة القصواء التي حملت النبي إلى المدينة

المنورة وقفةً مهمة عند الشاعر عبد الرحمن

العشماوي، فهي مأمورة بأن تقف في ذلك المكان الذي

سيتم إنشاء المسجد النبوي فيه، وستكون فيه الروضة

الشريفة، ومنبر النبي ﷺ؛ إذ يقول متابعاً:

يا قائد القصواء دعها إنها

مأمورة فاعجب لها أن تؤمرا

دعها تسر فلسوف تلقي رحلها

في موضع سيكون بعد المنبرا

ولسوف يغدو بعد ذلك روضة

من جنة الفردوس يقصدها الوري

يا راكب القصواء قولك صادق

تمحوبه قول الطفاة المفترى

لقد أترع قلب

د. عبد الرحمن

العشماوي بحب

طيبة؛ فتناول في

قصيدته «عناقيد

الضياء» (ص ٩٩-

١٠٠)، جوانب

مقتطفة من هنا

ومن هناك لتشكّل

في مجموعها صورة

ناطقة بما كان يجري

في رحاب المدينة من أحداث ومعجزات عجيبة تنطق

بنبوة محمد ﷺ؛ فذكر الناقة، والجدع الذي حنّ،

والحصى في لحظة الاستغفار، وصوت الصديق

حينما كانا في الفار، وأسد الله حمزة رضي الله عنه،

وحنظلة الفسيل، ومصعبا لحظة استشهاد وتكفينه

بثوبه القصير، وابن رواحة، وجعفر الطيار، ومشاعر

هؤلاء الأفذاذ في حبهم الصادق للرسول ﷺ؛ إذ

يقول:

سل أيها المخدوع طيبة عندما

بلغت مداها ناقة المختار

سل صوتها لما تعالي هاتفا

وشدا بألف قصيدة استبشار



د. عبد الرحمن العشماوي

سل عن حنين الجذع في استبشاره

وعن الحصى في لحظة استغفار

سل صحبة الصديق وهو أنيسه

في دربه ورفيقه في الغار

سل حمزة الأسد الهصور فعنده

خبر عن الجنّات والأنهار

سل وجه حنظلة الفسيل فربما

أفضى إليك الوجه بالأسرار

سل مصعباً لما تقاصر ثوبه

عن جسمه ومضى بنصف إزار

سل في رياض الجنة ابن راحة

واسأل جناحي جعفر الطيار

سليم عن الحب الصحيح ووصفه

فلسوف تسمع صادق الأخبار

ويتوقف الشاعر عبد الله محمد سالم بارجاء،

من اليمن، في

قصيدته «هذا خير

مختار» (ص ١٠٤)،

عند حادثة الإسراء

والمعراج، وتوخذ

أهل المدينة بعدما

مزقتهم العصبية

والثارات، وشيوع

الأمن والأمان بين

قبائلها، واجتماعهم

على حمل همّ

الدعوة ونشرها في العالمين؛ إذ يقول:

مسراه للقدس، والمعراج كان إلى

أعلى، وهجرته في دار أخيار

طابت به طيبة لما أقام بها

وزال عن دربها ما ثار من ثار

وقام أصحابه بحمل دعوته

وللرسالة كانوا خير أنصار

ويورد هذا الشاعر عدداً من معجزات الرسول ﷺ

التي وقعت بعد حادثة الهجرة إلى المدينة، فذكر

منها: امتثال الشجرة له لما دعاها، ومضاعفة الطعام

بين يديه، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة، وحنين

الجذع، ونطق الذئب؛ إذ يقول:

يا أكرم الرسل من بالحق قد شهدت

على رسالته أخباراً أحبار

ومن أجابت له الأشجار وامتثلت

لما دعاها بإجلال وإكبار

ومن تضاعف أكل عند دعوته

ومن أصابعه نبغ لأنهار

ومن يحن إليه الجذع في أسف

وينطق الذئب: هذا خير مختار

ونجد الشاعر عمر

حماد هلال، من العراق

في قصيدة أمة خلقت

بفرد (ص ١٠٩)،

قد استشعر عظمة

النبي ﷺ، فهو

شمس الحقيقة، وهو

القمر الذي لا يأفل،

وهو الروح القادمة

من الجنة، وهو الظل

الظليل لأصحابه



عمر هلال حماد

وأمتة؛ إذ يقول:

أيا شمس الحقيقة لست شمساً

ولا قمراً تغشاه الأفلول

كأنك من جنان الخلد روح

بطيبة ضوعها ظل ظليل



عبد الله بارجاء

إن كنت قصرت في مدحي فمعدرتي

أنني رزقت حروفاً تشن من درر

أما الشاعر محمد توكنا، من سورية، في قصيدته السيرة العطرة (ص ١٢٢)، فيومئ إلى الهجرة الشريفة، وفرحة الأنصار بها، وإيثارهم النبي على ما يملكون من مال وولد؛ فيقول:

بشراك طيبة خير الرسل منطلق

إلى حماك يزف السعد والرغدا

يا فرحة عمت الأنصار إذ علموا

أن الرسول إلى لقياهم عمدا

هم بايموه على التوحيد واعتزموا

لا يؤثرون عليه المال والولدا

وتستوقف هذا الشاعر غزوة الأحزاب (ص ١٢٤) حيث يشير إلى كثرة أعداد المشركين، فهم كاللوح المتلاطم، ويذكر الخندق، ويصور هزيمة الأحزاب وتشتتهم وخيبتهم واندحارهم، فإلله الواحد الأحد هو الذي هزمهم بقوته وفضله وكرمه؛ إذ يقول:

كتائب الشرك تترى في تدافعها

أمواج بحر تطامي يقذف الزبدا

لكن خندق أهل الحق أعنتهم

وربنا هزم الأحزاب منفردا

والشاعر محمد

منذر لطفي، من سوريا، في قصيدته أكرم بميلاد الرسول، (ص ١٤٣)، يقدم صورتين متقابلتين متضادتين في بيتين فقط، صورة مكة وهي تقلب ظهر المجن لمحمد ﷺ فيفادها



محمد منذر لطفي

ويستوقفنا الشاعر د. غازي القصيبي من السعودية في قصيدته «يا أخت مكة» (ص ١١١)، عند مولد النبي، وذكرى بعثته، وسيرته العطرة، وإرسائه قواعد دولة الإسلام الوليدة في المدينة المنورة؛ إذ يقول:

تلك الثنيات فاذا ذكر مطلع القمر

واخشع من الألق الطليق على الذكر

في يوم مولده أو يوم بعثته

أو يوم هجرته ما شئت من عبر

في سيرة لم ير التاريخ توأمها

برغم ما أبصرت عيناه من سير

بطيبة الطيب أرسى الحق دولته

فالكون في موعد ثر مع القدر

ويربط بين

طيبة الطيبة ومكة المكرمة، فينتقل بنا ما بين الروضة الشريفة في المدينة المنورة والحجر الأسود في مكة المكرمة، ويشير إلى أن الحب العجيب لأبي القاسم ﷺ هو الجامع بينهما،



د. غازي القصيبي

ويعتذر للنبي أنه لا يملك سوى الحروف ليقدمها بين يدي مدحه والثناء عليه فيما يستحق هذا النبي بدلاً من ذلك الدرر الثمينة التي هو جدير بها؛ إذ يقول:

يا أخت مكة مازال الفؤاد هوى

يسري من الروضة الفيحاء للحجر

ويا أبا القاسم المختار يملؤني

حب يجل عن التصوير والصور

وفي (ص ١٥١) يختتم قصيدته فيبث أشواقه ولواعجه، فهو المقيم بحب النبي ﷺ، فيذكر العقيق، والفضا، أملاً أن يكون وراء هذا الوداع لقاء متجدد؛ إذ يقول:

صلى عليك الله ما ذكر الفضا

وبكى العقيق مقيم حذاء

وتشوقت روح إليك بسرها

فإذا التشوق موعده ولقاء

ولشاعر العرب محمد نجيب المراد أيضاً في قصيدته إنا كفيناك المستهزئين (ص ١٥٤)، وقفات عند الحرية

التي تمتع بها المسلمون في عهد النبي ﷺ، مشيراً إلى قصة المرأة التي جاءت النبي تجادله في زوجها، وما لقيته من النبي من حلم وأناة، فضلاً عما نزل به القرآن بشأنها،



محمد نجيب المراد

والحرية الفاتكة التي عايشها المسلمون في عهد خلفاء النبي من بعده، ولا سيما في عهد عمر بن الخطاب حينما اعترضت عليه امرأة بشأن المهر الذي تستحقه المرأة، فقال لها قولته المشهورة: أصابت امرأة وأخطأ عمر! إنه زمن الحرية المكفولة للناس والتي لا مثيل له، إنه زمن الحوار البناء الذي لا نظير له، وزمن الشورى، وزمن الحكم بالعدل والقسطاس المستقيم الذي لا شبيه له في العالمين؛ إذ يقول:

شورى حكومة أحمد ونظامه

كان الحوار ضمانها المكفولا

في الدجى مهاجراً مع صاحبه أبي بكر الصديق، وصورة المدينة المنورة وهي تهش وتبش فرحاً بقدومهما ووصولهما إليها عصراً؛ ونلاحظ هنا الفارق بين «الظلمة» في كلمة «الدجى» في مكة، و«النور» الذي حل في المدينة المنورة، وذلك في كلمة «عصراً»؛ إذ يقول:

مكرت قريش لقتل أحمد غيلة

والله جل الله خير ماكرا

فهجرت والصديق مكة في الدجى

وأيت طيبة في الأصيل مهاجرا

وفي (ص ١٤٤) يربط الشاعر محمد منذر لطفي بين الإسراء ومسجد القبلتين في المدينة المنورة مسجداً لله الذي أفاض على نبيه وعلى المسلمين بتلك الليلتين: ليلة تحويل القبلة، وليلة الإسراء، وفي كليتهما أدخل السرور العظيم على قلب الحبيب ﷺ، فكانتا فرحة للمسلمين ونقمة على الغزاة المعاندين؛ إذ يقول:

سبحان من أسرى بأحمد فاعتنى

في ليلة فاضت رؤى ومشاعرا

فأعاد ذكر القبلتين مواسماً

للعابدين وللغزاة مقابرا

أما شاعر العرب محمد نجيب المراد، من سورية، في قصيدته محمد رسول الله (ص ١٥٠)، فقد أبدع وأجاد في تشخيص حبه لرسول الله ولمدينة رسول الله طيبة الطيبة، فيذكر كيف أنه وقف باكياً أمام قبر النبي ﷺ، وبخشوع وإجلال، ودموع، وأغضاء، وتلعثم، وحسرة لما يشهده من حال المسلمين اليوم وهم مهزومون أمام أعدائهم؛ إذ يقول:

أنا كم وقفت أمام قبرك مغضياً

من حالنا إذ حالنا إغضاء

وتلعثمت مني العيون بعبرة

هل ينفع المهزوم ثم بكاء

راح يمحو الدجى بنور تلالا

وجب الشكر والثناء علينا

لإلهي سبحانه وتعالى

ولم تكتف بذلك القدر من الإعجاب والانبهار، بل نجدها وقد جاءت إلى المدينة المنورة مسوقة بشوقٍ عارم، ولما وقفت أمام قبر النبي ﷺ أطلقت عنان خيالها لتستحضر صور الصحابة الأبطال والصحابات الكريمات، رجالاً ونساءً، وتخص بالذكر: أبا بكر، وبلاّ، وعمر بن الخطاب، وحزمة، وعلياً؛ إذ تقول في (ص ١٦٩):

زرتك الأُمس زرت طيبة لما

هزني الشوق فامتطيت الخيالا

زرت قبراً ضم الذي نور الكو

ن عطاء والعالمين خصالا

فتذكرت في الجوار أبا بك

ر وتذكرت في الأذان بلا لا

وتذكرت أنجماً زاهرات

عَمراً والصحابة الأبطالا

وتذكرت حمزة وعلياً

والمضيئات نسوة ورجالا

أما الشاعر

مصطفى عكرمة،

من سورية، في

قصيدته هذا أنت

(ص ١٧٣)، فقد

سكب في المدينة

أشواقه، فأرضها

تبر، وأهلها ملائكة،

وهي جنان، إنها

تُفتدى بالنفس

والأهل، ودونها يُسترخص البذل والتعب؛ إذ



مصطفى عكرمة

واقفت تجادل أحمداً في زوجها

إحدى النساء فلقت لديه قبولا

واستنكتف أخرى أمام خليفة

حتى يقدم واضحاً تعليلاً

وللشاعر محمد عبد اللطيف الحديثي، من العراق، في قصيدته النبي الرحمة (ص ١٦٥)، وقفة عند تلك الدولة العظيمة التي شادها النبي محمد ﷺ في المدينة المنورة، وهو الشريد الطريد المهاجر من مكة المكرمة إليها، وهنا يستخدم الشاعر صيغة التعجب (أكرم به!) ليدلل على شدة تعجبه من حال هذا النبي وسرعته في بناء دولة الإسلام المحكمة وإرساء قواعد تلك الدولة الوليدة؛ إذ يقول:

غادرت مكة والديار حبيبةً

ودخلت يشرب بعد طول عنا

وبنيت للإسلام أعظم دولة

أكرم به من مرسل بناء

وللشاعرات نصيب في هذا الاستعراض الموجز لقصائد وأبيات من الشعر الذي قيل في حق المدينة المنورة، ف

للشاعرة مروة حلاوة، من سورية، في قصيدتها واحة العطر (ص ١٦٨)، وقفة مع المدينة المنورة، فتُضمّن أبياتها كلمات مما جاء في قصيدة (طلع البدر علينا) المشهورة، وأن النبي ﷺ قد أثر المدينة المنورة بالبقاء فيها حتى التحاقه بالرفيق الأعلى، فبنوره انمحي الدجى وتلاً، فالشكر لله على ما أنعم به من نعم كثيرة على المدينة خاصة، وعلى المسلمين في كل مكان عامة؛ إذ يقول:

وأتى طيبة التي حل فيها

هاديا لا يطيق عنها زوالا

طلع البدر بالضياء علينا

عاشقة الحرم (*)



د. محمد عثمان صالح (**) - السودان

يا نورها يعلو على الظلماء!
ومضأءها في الله أي مضأء
أربت على السبعين إلا أنها
في روح مندفع إلى العلياء
يا حسن هذاك الوقار يحفّه
محض الصفاء كما لجين الماء
وتسير بين كريمتين يُحِطْنها
بالحب والإجلال والإصغاء
فكأنها الخنساء في عزماتها
تسمو على البأساء والألواء
أو تلك رابعة تبوح بحبها
لله بين تأمل ونداء
ظلت إلى وقت التهجد بعد أن
صامت وأدت فرضها بعشاء
وأنت على العشرين في حرم النبي
حبيبها وتضرعت بدعاء
يا سعدها يا بشر دنياها التي
برئت من الشحناء والبغضاء!

* المدينة المنورة ٢٦ رمضان ١٤٠٣هـ

** مدير جامعة أم درمان الإسلامية سابقاً، ورئيس المكتب
الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في السودان.

يقول:

يا شوق طيبة والبشرى تظللها
ما مثل ما ارتقبت في الدهر مرتقب
كان تربتها تبراً قد انقلبت
كانما في ثراها أمست الشهب
هي الجنان وأهلوها ملائكة
لو كان في الأرض أملاك لها انتسبوا
المال والنفس والأهلون إن طلبت
فداء دين الهدى ما كان منسحب
الدين تممت الأنصار نصرته

ولم يحل دونها بذل ولا تعب
وفي قصيدة أخرى للشاعر مصطفى عكرمة،
وهي بعنوان حبك السعد (ص ١٧٧)، يذكر جبل أحد
ويشخصه لنا فهو ترجمان يروي قصصاً عجيبة
تحكي تلك الأحداث التي دارت حوله، والأقوال
النبوية التي قيلت فيه في إشارة إلى حديث: «أحد
جبل يحبنا ونحبه»؛ إذ يقول:

ولكم كنت بالجماد شقيقاً

أُخذ عن عجيبة ترجمان

ونختم بالشاعر يونس أبو سعدي، في قصيدته
هجرة من وحي الهجرة (ص ١٨٩)، فسيتنفض
الهمة للدفاع عن يثرب (المدينة) خاصة، وعن
بلاد المسلمين عامة، ورفع ما أصابها من الإيذاء
والضرر؛ إذ يقول:

يا أهل يثرب في إسلامكم وطن

قد سامه الأهل بالإيذاء والضرر

ولو استرسلنا في إيراد نماذج أخرى لما اتسع
المقال لها، ولعل فيما تم استعراضه من المشاعر
الفياضة الصادقة، ومن ذكر الأماكن والأحداث
والعبر، ما يكفي، ويبقى حق المدينة المنورة على
أبناء الإسلام والمسلمين كبيراً إلى يوم الدين،